الكلية : الآداب

القسم او الفرع : التاريخ

المرحلة: الماجستير

أستاذ المادة : أ.م.د علاء مطر تايه

اسم المادة باللغة العربية : تاريخ المشرق الاسلامي في العصر العباسي

اسم المادة باللغة الإنكليزية : History of the Islamic East in the Abbasid Era

اسم المحاضرة الثانية عشر باللغة العربية: العصر الذهبي للسامانيين ونهاية امارتهم

اسم المحاضرة الثانية عشر باللغة الإنكليزية : The golden age of the Samanids and the end of their emirate

العصر الذهبي للامارة السامانية

بعد وفاة الأمير نصر تولى حكم الدولة أخوه أسماعيل الذي وصفته المصادر بأنه كان خيراً يحب أهل العلم والدين ويكرمهم، متواضعاً وفياً يحب القراءة والاطلاع، ويذكر نظام الملك انه «كان عظيم العدل ذا سيرة طيبة محمودة من العقيدة في الله تعالى، وكان رؤوفاً وقد عمل بجد ونشاط في سبيل الحفاظ على دولته وتنميتها وخاض من أجل ذلك العديد من المعارك مع جيرانه فتمكن من توسيع مملكته. بالمساكين.

فخاض مع الصفاريين الذين كانوا يتطلعون الى توسيع أراضيهم على حساب خراسان التي كان عليها حينئذ علي بن الحسين، وكان علي هذا قد لجأ الى اسماعيل، بن احمد في بخاري التي أصبحت عاصمة للدولة بدل سمرقند، وقد استقبل بحفاوة أثارت حفيظة الخلافة ضد اسماعيل لأنها كانت تعتبر علي بن الحسين متمرداً عليها كما سبق وأن أشرنا، وقد شجعها موقف اسماعيل هذا على تأييد مطالب عمرو بن ليث في بلاد ماوراء النهر، وربما كان هذا الموقف تحذيراً لاسماعيل حتى لا يتمادى في تأييد أمثال هؤلاء، ونحن نميل الى قضية التحذير، لأننا سبق وأن أشرنا الى قضية مطالبة الصفاريين ببلاد ماوراء النهر ووضحنا أن مصلحة الخلافة كان الى السامانيين أقرب منها الى الصفاريين، لذلك لاحظنا أن التقارب بين السامانيين والخلافة كان أكثر وضوحاً حتى أن الخلافة عبرت عن رضاها وسرورها بانتصار السامانيين على الصفاريين.

مع كذلك أشرنا الى الصراع بين السامانيين والزيديين وكيف تمكنت الدولة الساسانية من هزيمة الزيديين وضمت ممتلكاتهم وكان ذلك في عهد اسماعيل، كذلك خاضت الدولة معارك مواجهة ضد

الاتراك الذين كانوا يهددون حدودهم وقد انتصر السامانيون وتمكنوا من الدخول الى قلب أراضي الاتراك وضموا اليهم مدينة طراز عاصمة الأتراك ، أراض أخرى(٢١)، كما عملوا على نشر الاسلام في ربوع تلك البلاد، وحولوا كنيستها الى مسجد، ويذكر أن عدد الاسرى من الترك كان خمسة عشر النا وأن عدد القتلى كان عشرة آلاف هذا بالاضافة الى ما جمعوه من أموال ومغانم كثيرة حتى قيل أن نصيب الواحد من رجاله كان الف درهم)، وفي هذا العام أيضاً تم خلع الاسرة الحاكمة في أشروسته وضمت المنطقة الى الاراضي الخاضعة للسامانيين.

هذا ومن الجدير بالذكر أن الخلافة كانت تنظر بعين الرضا والارتياح لانتصارات السامانيين الذين كانوا يحافظون على قدر كبير من علاقتهم الطيبة مع الخلافة، ويقدمون لها الأموال السنوية والهدايا بصفة دائمة، حتى انهم كتبوا اسم الخليفة على عملتهم التي لم تقتصر على اسمائهم فقط. وطاردوا اعدائها من قرامطة وخوارج في هراة وبلاد الغور عام ٢٩٥هـ، وقد خاطب اسماعيل رجاله قائلاً: «وإني لأعتمد عليكم في كفاية هذا المهم، فقد خرج قوم في سفوح جبال هراة وجاهروا بمذهب الخوارج والقرامطة، وأكثرهم من الرعاة والفعلة. فإذا تم لكم هذا الفتح خلعت عليكم جميعاً ووصلتكم.(1 (٢٩)

نهاية الامارة:

وقع خلاف بين الملك السعيد واخوته فقبض عليهم وسجنهم، إلا أن هؤلاء تمكنوا من الفرار من سجنهم بمساعدة أنصارهم مستغلين غياب الملك السعيد عن بخاري. وعلم الملك السعيد بما حدث، فأخذ يستعد للعودة، بينما كلف قائده محمد بن المظفر بقيادة حملة أخرى ضد المتمردين من اخوته ومن يقف الى جانبهم. وكذلك سار الملك السعيد على رأس قواته الى بخاري، وعبر نهر جيحون وتمكن من الوصول الى عاصمته ودخلها وقبض على بعض المتمردين وأعدمهم، وكان أخره يحيى

قد تمكن من الهروب الى سمرقند،، ومنها الى بلخ، وكان واليها مناصراً له وهرب الاثنان الى مرو، وكانت قوات محمد بن المظفر تتقدم اتجاه مواقع يحيى تطارده وتضيق عليه الخناق، وفي النهاية التقى الملك السعيد بقائده ابن المظفر في نيسابور التي فر منها يحيى، ويبدو أن حركة التمرد التي قادها يحيى قد انتهت في عام

وماكاد الملك السعيد يرتاح من فتنة اخوته حتى وقع في مواجهة أخرى مع مردوايج بن زيار والي مدينة الري الذي أعلن تمرده هو الآخر وضم اليه جرجان وقزوين وقم وقاشان(٤١)، إلا أن مفاوضات قد جرت بين الطرفين وعني الملك السعيد عن مردوايج وأبقاه في الري، وأقام محمد بن المظفر على تدبير أمور خراسان وعاد السعيد الي بخاري.

لكن الأمور لم تستقر على حال خاصة في منطقة كرمان التي التحق بها أحد أنصار يحيي (اخو الملك السعيد) وهو محمد بن الياس، لكن الملك السعيد أرسل اليه جيشاً بقيادة ماكان بن كالي فهزمه واسترد منه كرمان، ثم سار ماكان بن كالي ومحمد بن المظفر للقضاء على حركة وشمكير أخي مردوايج الذي امتنع بالري، لكن هؤلاء لم يوفقوا في طرد وشمكير من الري الأمر الذي شجع محمد بن الياس على العودة الى كرمان والاستيلاء عليها من قوات الساسانيين.

عاد الهدوء الى منطقة خراسان بعد الجهود التي بذلها ابن المظفر، إلا أن هذا القائد قد أعني من الخدمة لظروفه الصحية(٤٢) وعين مكانه ابنه ابوعلي احمد وكان ذلك في عام

في هذه الفترة خلع ماكان طاعة الملك السعيد واتخذ من جرجان مقراً له، سار احمد بن محمد من نيسابور الى جرجان وتمكن من دخولها ، بعد أن غادرها ماكان الى طبرستان، كذلك توجه احمد الى الري حيث يوجد وشمكير، ودخل معه في معركة، وكان ماكان قد انضم الى وشمكير، وكانت النتيجة أن هزم وشمكير وفر الى طبرستان، وقتل ماكان وسقطت الري في يد القائد احمد بن محمد، وفي عام 330هـ وافق وشمكير على الخضوع للملك السعيد بعد تمكن أحمد بن محمد من تضييق الخناق عليه.(٤٣)

وفي العام التالي ٣٣١هـ تنازل الامير نصر عن الحكم لابنه نوح(44)، وتذكر بعض المصادر أن السبب في هذا التنازل ربما يعود الى انتشار حركة القرامطة في ربوع تلك البلاد ويبدو أن الامير نصر قد تعاطف مع هذه الحركة، بل أن بعض المصادر تذكر بأنه أصبح من أنصارها(40)، الأمر الذي أثار عليه قادة الحرس الذين أخذوا يتأمرون لاسقاطه وابعاده عن الحكم، ويبدو أن الامير نصر علم بما يدبر، نقضي على المتأمرين، وأدرك بعدها فساد هذه العقيدة وبطلانها فتركها، وقيل أنه كان مريضاً واعتقد بأن هذا المرض كان عقاباً له(16). وقد أورد نظام الملك هذه القضية في كتابه سياست نامه، إذ قال أن نصر عندما علم بالمؤامرة، قرر الذهاب الى مركز المتآمرين خاصة وانه عرف المكان ففاجأهم في مجلسهم وقال لهم: «اعلموا أنه بلغني ما تأمرتم به علي، ووجدت قلوبكم علي، ووجد قلبي عليكم، فلن آمن لكم بعد اليوم، وأن تأمنوا لي، وإني إن كنت تنكبت سبيل السنة ودخلت في مذهب خبيث فأوغرت صدوركم علي لهذا فهل ترون نوح ابني عيباً ما ؟ قالوا: لا، قال فإني ولبته عهدي، فهو اليوم أميركم، فإن كنت قد أخطأت أو أصبت فإني ساعكف بعد اليوم على الاعتذار والتوبة والاستغفار عسى الله عز وجل أن يقبل توبتي وكان رد الأمراء والقادة ايجابياً حيث بايعوا نوح في 19 ربيع اول عام ٣٤٢هـ وقام نوح بدوره بتوزيع الاموال والهدايا

عليهم وخاطبهم قائلاً: «لئن تأمر بنا الاسفهلار – يعني قائد الجيش الذي كان يقود المؤامرة – فقد لقي جزاءه، ولدن تنكب أبي عن سبيل السنة فقد رأى عاقبة أمره، وكان اتفاقكم أنكم اذا فرغتم من الضيافة – وكانوا قد اجتموا في ضيافة الاسفهلار – انطلقتم نحو بلاسنون تحاربون الكفار، وإني لأرغب في الغزو، فهلموا نغزوا معاً ونقتل فيما وراء النهر وخراسان كل ملحد ... ولكم بعد ذلك أموالهم ومتاعهم ... فإنه لايليق بمتاع الباطنية ومالهم إلا النهب والاباحة ... فإذا فرغنا من هذا المهم توجهنا الى كفار الترك ...(٤٧)

وهكذا انطلق نوح مع رجاله يجوبون بخارى ونواحيها يقتلون كل ملحد وجدوه في خراسان وبلاد ماوراء النهر وفي خلال هذه الفترة بدأت ملامح الضعف تلوح في الأفق حيث ورث الأمير نوح تركة مثقلة بالمشاكل، وخاصة في الأيام الأخيرة لوالده، فأسندت الوزارة الى رجل عرف بتقواه وورعه وهو الفقيه ابو الفضل محمد بن محمد السلمي الذي أقي «بالحاكم الشهيد، ومما يؤسف له أن هذا الرجل لم يكن متفرغاً لأمور الدولة وادارتها بالقدر الكافي، لذلك لم يتمكن من إقالة الدولة من عشرتها وفي نفس الوقت كانت الدولة تخوض معركة مع الأتراك وكذلك تتصدى لثورة قامت في خوارزم، ولم تفلح في مواجهة هذه المشاكل لأن الجند في حالة تذمر بسبب تأخر مرتباتهم.

المقدس أمام هذه الأحداث والمشاكل اضطرت الدولة الى زيادة الفراج والضرائب، ويذكر (٤٨)، أنه في عهد نوح هذا استقرضت الدولة خراج سنة كاملة من الناس ولم تستطيع دفعه، وقد تضرر الناس من حال ديوان الخراج الذين عملوا الى جمع بقايا الخراج في حين لم يكن بوسع الناس أن يدفعوا الخراج المقرر.

وقد ازدادت الاوضاع سوءاً وتصاعد التوتر عندما طرد نوح بن نصر قائد جيشه احمد بن حمويه ارضاء لوزيره الذي فتك به الجند بعد شهرين لعدم دفع رواتبهم، وفي نفس الوقت تمكن المتمرد ابو علي والي خراسان من دخول بخاري وطرد منها نوح بن نصر الذي هرب الى سمرقند، لكن نوح ما لبث أن عاد الى عاصمته بعد هزيمة أبو علي ومن وقف معه من أبناء الاسرة السامانية.

وبعد فترة زمنية تصالح الامير نوح والقائد أبو علي واستعان الأمير نوح بأبي علي في القضاء على بعض الفتن التي ثارت في ربوع البلاد.

وفي فترة لاحقة عزل أبو علي عن خراسان وكذلك توفي الامير نوح عام ٣٤٣هـ وارتقى العرش ابنه عبدالملك (٤١)، وفي العام التالي ٣٤٤هـ توفي ابو علي. (11)

شعر الأمير عبدالملك بوطأة القادة وتسلطهم، فأخذ يفكر في التخلص منهم وإبعادهم حتى يشعر بالأمان فعين قائده البتكين الذي وصل الى منصب حاجب الحجاب على ولاية خراسان ليبعده عن بخارى(٥٠)، ووقع صدام بين البتكين والدولة السامانية، اضطر البتكين على الأثر أن ينسحب الى غزنة حيث أسس له هناك دولة خاصة به(1) وسنشير اليها فيما (.)

بعد.

توفي الأمير عبدالملك وتولى بعده ابنه الامير منصور الذي توفي هو الآخر عام ٣٨٧هـ / ٩٧١م وجاء بعده ابنه ابو القاسم نوح، وكان طفلاً صغيراً، وفي عهده كثرت الاضطرابات والفتن بين قادة الجيش ورجال البلاط، بالاضافة الى حروبهم . المستمرة ضد البويهيين فضعفت دولتهم، وتضعضعت أحوالهم فأصبحوا فريسة سهلة للآخرين، حيث تمكن محمود الغزنوي من ضم خراسان الى أملاكه، وكذلك نجح بغراخان القائد التركي من التقدم نحو بخارى، ودخلها في عام ٣٨٣هـ / ٩٩٩م بدون مقاومة واستولى(٥٣) على خزائن السامانيين، وتم ترحيل أفراد الاسرة السامانية الى أوزكند التي رجع اليها الايلك بغرا خان نفسه حيث يذكر العتبي «أن مست بفرا خان علة استويل لها المقام في بخاري، فانزعج عنها عائدا ،(04) وكان قد ترك والياً له على بخارى وأخر في سمرقند، وجاء في الصابي قال تحدثني ابن الحسين بن زيرك قال حدثني ابو الحسين بن السبع التميمي الفارسي، وكان من أعيان التجار قال «كنت ببخارى حين ورد عساكر الثانية، فصد خطباء السامانية إلى منابر الجوامع واستنفروا الناس وقالوا عن السامانية قد عرفتم حسن سيرتنا فيكم وجميل صحبتنا لكم، وقل أطلنا هذا العدو، وتعين عليكم نصرنا والمجاهدة دوننا، فاستخيروا الله تعالى في مساعدتنا، وأكثر أهل بخارى حملة سلاح، وأهل بلاد النهر كذلك، فلما سمع العوام ذلك قصدوا الفقهاء عندهم واستفتوهم في القتال فمنعوهم منه وقالوا .. لو كان الخانية ينازعون في الدين لوجب قتالهم فأما والمنازعة في الدنيا فلا فسحة المسلم في التقرير بنفسه والتعرض لإراقة دمه، وسيرة القوم جميلة وأديانهم صحيحة واعتزال الفتنة أولى، فكان ذاك من أقوى الأسباب في تملك الخانية بخارى وهرب السامانية وانقراض ملكهم ..

دخل الخانية بخاري فأحسنوا السيرة ورفقوا بالرعية(00) ارهذا نص غني عن التعليق إذ يبين كيف أن أهل بخارى لم يقفوا الى جانب السامانية في وجه الاتراك كما يبرز النص ضعف الاسرة

السامانية وتنككها وعدم قدرتها على رد المعتدين عليها، ثم أن النص يبين من ناحية أخرى دور العلماء في الامة إذ كانوا بمثابة قيادة فكرية وسياسية يستشيرهم | الناس في أدق الأمور وأخطرها وكانت اجاباتهم صريحة واضحة لا لبس فيها.

هكذا إذن سقطت دولة السامانية(56) التي لعبت دوراً بارزاً على مسرح الاحداث السياسية في منطقة المرق الاسلامي.

هذا ويمكن تلخيص عوامل سقوط الدولة السامانية فيما يلي :

انقسام الاسرة السامانية على نفسها، الأمر الذي أوجد العديد من مراكز القوة التي أخذ كل منها يعمل على تقوية نفسه على حساب الآخرين، وتسرب هذا الى صفوف الجيش الذي انقسم هو الآخر ما بين مؤيد ومعارض لهذا الفريق أو ذاك ودخل في معارك أهلية دفع فيها الناس الثمن غالياً من دمائهم وأموالهم واستقرارهم، فهناك أحداث وقعت بين نصر وأخيه اسماعيل والدولة لازالت في أيامها الأولى، وتفجر صراع نتج عنه مقتل الامير احمد بن اسماعيل عام ٣٠١هـ وصراعات مريرة بين نصر بن احمد وعمه اسحق وكذلك بين نصر وبعض قادته وأخيرا بين نصر واخوته.

وفي خضم هذه الأحداث كان كل أمير يعمل على جمع عدد كبير من الأنصار ليثبت حقه في الحكم دون النظر الى الاضرار المترتبة على هذه الحوادث، ووصل الأمر احياناً ببعضهم لكي يضمن

ولاء القادة واخلاصهم أن يدفع لهم الاموال والهدايا الطائلة كما حدث في بداية حكم الامير نوح بن منصور (٠٧).

وقد ترتب على هذه التصرفات افراغ خزانة الدولة من جهة، ومن جهة أخرى تعطيل حركة الانتاج سواء في مجال الزراعة أو الصناعة أو التجارة، لأن من هذه الفئات لاتستطيع أن تمارس أعمالها في ظل أوضاع قلقة لا يأمن فيها المرء على نفسه أو ماله فقلت مدخولات الدولة لتصبح عاجزة عن دفع التزاماتها وانجاز المتطلبات العامة، ولنأخذ على ذلك مثلاً، فقد عطلت التجارة الخارجية مع الصين بعد أن كانت نشطة إلى أبعد الحدود وهذا التعطيل يعود الى الفتن والحروب التي سادت اقاليم الدولة ويمكن أن نضيف عاملاً آخر هو استشراء الحقد والحسد بين كبار رجال الدولة وبعضهم ضد البعض الآخر واستهانتهم بهيبة القيادة العليا والدليل على ذلك أن العتبي عندما أصبح وزيراً للأمير نوح بن منصور تحكم هذا في أمور الدولة وأصبح صاحب الحل والعقد لدرجة أنه أصدر أمراً بعزل سيمجور عن ولاية خراسان لوجود ضغائن بينهما، واختار العتبي بدلا منه أبو العباس تاش لأنه من أنصاره، ويبدو أن السيمجوري حاول الاتصال بالامير نوح لمنع عزله إلا أن نوح لم يتمكن من اعادته الى منصبه لأن الأمور خرجت عن سيطرته، ولم يعد هناك قاعدة لضبطها وأصبحت القدرة والسيطرة لمن لديه قوة عسكرية أو مالية.(٥٨)

كذلك تدخلت النساء في أمور الحكم فأدى ذلك الى فساد الادارة، فهاهي والدة الامير نوح بن منصور تتدخل لدى ابنها لعزل تاش عن ولاية خراسان وذلك بتحريض من الوزير ابن عزيز الذي أقنع والدة الامير بذلك، وقد أدى هذا وغيره الى اشتعال الفتن والمشاكل في ربوع الدولة.

هذا بالنسبة لما حدث في داخل الدولة، أما على حدودها الخارجية، فقد ظهرت بعض القوى الطامعة في تكوين كيانات مستقلة لها على حساب السامانيين وهذه القرى مثل الزيديين في طبرستان، والصفاريين في سجستان والبويهيون في الري وفارس وجرجان وقد دخل السامانيون في معارك متواصلة مع هذه القوى الأمر الذي كان عامل استنزاف مستمر لقوة السامانيين رغم تمكن السامانيين من التغلب على هذه القوى.

كذلك كان ظهور الاتراك على الحدود الشرقية لدولة لايقل خطورة عن العوامل السابقة، بل كان خطراً مباشراً لأن هؤلاء كانوا يتطلعون الى غزو أراضي الدولة وتمكنوا من ذلك فيما بعد على يد بغرا خان الذي استغل فرصة الانقسامات المحلية، وانضمام بعض الامراء المحليين الى جانبه فدخل الى بخاري كما أشرنا وهو الذي أسقط دولة السامانيين، وبعد انسحاب بفر خان من بخارى ووفاته، انتصب بعض الامراء منطقة خراسان، فأصبحت البقية الباقية من ممتلكات الدولة محاطة بأعداء من الغرب (الامراء فائق وسيمجور) ومن الشرق الدولة التركية.

أمام هذه المواقف وجد أمير بخاري نفسه مجبراً للبحث عن مساعدات خارجية ضد هذه القوى فاستعان بالأمير سبكتكين والي غزنة، وهذه الاستعانة في حد ذاتها ضعف لأنها سمحت لقوة جديدة أن تتدخل في الامور الداخلية للدولة.

وعلى العموم فإن الظروف والعوامل السابقة مجتمعة أدت الى اضعاف الدولة السامانية وانهيارها وتقسيم ممتلكاتها . كذلك كان ظهور الاتراك على الحدود الشرقية للدولة لايقل خطورة عن العوامل

السابقة، بل كان خطراً مباشراً لأن هؤلاء كانوا يتطلعون الى غزو أراضي الدولة وتمكنوا من ذلك فيما بعد على يد بغرا خان الذي استغل فرصة الانقسامات المحلية، وانضمام بعض الامراء المحليين الى جانبه فدخل الى بخارى كما أشرنا وهو الذي أسقط دولة السامانيين، وبعد انسحاب بغراخان من بخارى ووفاته، اغتصب بعض الامراء منطقة خراسان، فأصبحت البقية الباقية من ممتلكات الدولة محاطة بأعداء من الغرب (الامراء فائق وسيمجور) ومن الشرق الدولة التركية.

أمام هذه المواقف وجد أمير بخاري نفسه مجبراً للبحث عن مساعدات خارجية ضد هذه القوى فاستعان بالأمير سبكتكين والي غزنة، وهذه الاستعانة في حد ذاتها ضعف لأنها سمحت نقوة جديدة أن تتدخل في الامور الداخلية للدولة.